

أهمية معنى الحضارة في ظل غياب الهوية العربية بحروب الجيل الرابع، وسبل استعادة الهوية العربية السليمة للشباب

د/ أحمد حمدي أبوضيف زيد

دكتوراه في التاريخ الأوربي الوسيط - كلية الآداب جامعة عين شمس - 2020

باحث متخصص في الشؤون التاريخية

أخصائي تدريس ثالث - وزارة التعليم والتعليم الفني

المقدمة:

نقدم في هذا البحث للقارئ السيناريو الجاري في مجتمعنا إلى اليوم من التفكك والانحلال الخلقي والديني، والذي يمثل إحدى حلقات الجيل الرابع من الحروب النفسية التي يخوضها أبناء تلك الأمة العربية، والتي سعى صانعوها إلى طمس الهوية العربية، وإخفاء كل معالم للحضارات التي قامت في الشرق الأوسط بغض النظر عن طبيعة تلك الحضارة، وما خلفته من مخرجات حضارية ثرية كانت أم ضعيفة، والتي ساهمت بشكل كبير في بناء الحضارات الحديثة لدول الغرب الاوربي والدول المتقدمة عموماً. وفي هذا الصدد أترنا أن نتطرق لتحديد معنى الحضارة، والتأكيد على الهوية بمجتمعات الشرق الاوسط من التاريخ عموماً، ثم ننتقل إلى حروب الجيل الرابع التي قُصد بها تغريب المجتمع العربي، وتفكك اواصره وبيئته، وحتى معتقداته، وثوابت الدين التي توارثتها الأجيال جيل بعد جيل مع تقديم الحلول المقترحة، والاستنتاجات التي يمكن العمل عليها في الجانب الحكومي الرسمي، والشعبي كما لا يفوتنا أن نذكر أنه تم الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي لشرح وتحليل ما يحدث داخل المجتمع العربي بشكل أكثر عمقا في بعض الحالات التي نتعرض لها.

إن الملاحظ في مجتمعنا العربي أنه يعاني الان حالة من الانقسامات الداخلية، والحروب الطائفية، والتفكك الأسري خاصة بعد ثورات الربيع العربي. وقد زادت تلك الحالة بشكل كبير في الفترات الأخيرة؛ فرغم أن تكنولوجيا المعلومات ساعدت بشكل كبير على بناء جسور من التواصل بين الشعوب والتعرف على ثقافات الشعوب المختلفة إلا أن المجتمع العربي أتت عليه تكنولوجيا المعلومات بشكل سلبي إلى أبعد حد حيث أنتشر فيه الفساد، والظلم، والانحلال الأخلاقي، وتغيرت العديد من المعاني لدى الشباب خاصة، وأصبح المفهوم السائد لديهم من الثقافة يتمحور حول كل ما هو مادي، ومكتسب شخصي له، بل وزادت الرغبة لدى الشباب في إشباع الأنا والذات على حساب المجتمع، والبيئة، والوطن، واختفت العديد من المعاني الدينية، واحتلت العادات، والتقاليد الغربية جانب كبير من حياة الشباب العربي الذي

أصبح يعاني من الاغتراب الحضاري، واللغوي، والديني، وأصبح تتمحور حياته حول إثبات ذاته مع الإتيان بكل ما هو شاذ، وغريب يلفت النظر، بل أصبح السائد هو أن يكون هناك معاني لغوية جديد خاصة بالشباب تتطوق باللغة العربية، ولا تمت للغة العربية بشيء، بل الأدهى وأمر أنه صار هناك حالة عامة للرجبة من التسفيه والاستهزاء من بعض الرموز التي كانت من الرموز الدالة على ثبات الموروث الثقافي، والعادات الأصلية المرتبطة بالديانات السماوية مثل السخرية من المعلم، أو الكبير سناً، أو حتى رجال الدين المعتدلين، وغيرهم من الرموز التي تمثل مؤسسات الدولة الرصينة والتي صارت تمثل مصدراً من مصادر الرجعية والتخلف، ومع تغير كل تلك المفاهيم والمعاني كان لزاماً علي كباحث في مجال التاريخ عموماً أن أحدد المفاهيم الصحيحة التي تبنى عليها الامم من تراث ثقافي، واقتصادي، وسياسي، وغيره. وقد قصدت من ذلك توجيه الأذهان حول معنى الحضارة وما خلفته تلك المعاني من مخزجات عده قد يتناسب بعضها مع ما يحدث اليوم من تغريب متعمد لثقافة الإنسان العربي عامة، والشباب خاصة الذي انساق وراء رغابته ونسى ماضية، وتراثه وأصبح يستلهم معتقداته، وأفكاره من الغرب الدخيل عليه من الشبكة الالكترونية هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى نتناول في هذا البحث مسألة حروب الجيل الرابع وما ذكر عنها لنجيب على سؤال هل ما يحدث في مجتمعنا العربي متعمداً أم جاء من قبيل الصدفة؟ وهل مجتمعنا العربي يعي تلك الحرب وأبعادها أم انساق وراء تلك الحروب وأستغل كافة اطراف الامة العربية وخاصة الشباب منهم لإعادة بلورة فكر الهوية العربية بشكل مبتور عن التراث الثقافي العربي الذي يمثل من وجه نظر البعض التخلف والجمود؟

وقبل أن ننقل الى موضوع البحث علينا أن نشير إلى أن هناك الكثير من الدراسات تناولت حروب الجيل الرابع بعده مفاهيم وتحليلات تتناسب مع مجتمعاتهم، وهواهم السياسي، والديني، وقد حاولت في ذلك البحث التزام الحياد والتجرد قدر المستطاع دون الانجراف نحو تيار سياسي، أو هوي ديني، أو عرقي، وذلك حتى يحقق البحث غايته عند تقديم الحلول للوطن العربي الذي يعاني من وطأت تلك الحرب، وويلاتها سواء على المستوى الحكومي الرسمي، أو المستوى المجتمعي العام، والخروج برؤية كلية للمجتمع العربي دون تعصب لبلد، أو تيار سياسي، أو مذهبي.

الحضارة:

تتعدد معاني الحضارة عند الكثير من المؤرخين، والكتاب، والباحثين في مجال التاريخ. وترجع تلك التعددية إلى اختلاف الفترة، أو الحقبة التاريخية التي كتب فيها ذلك التعريف، والمكان، والاتجاه الفكري لكاتب التعريف. وقد انتقينا من بين تلك التعريفات ما يتناسب مع واقع المجتمع الذي نعيش وما يلزمه من تعريفات تكشف عن مفهوم الحضارة بمعنى خلقي، ومادي لترسيخ عدة مبادئ غابت عن مجتمعنا العربي في الوقت الحاضر.

فقد رأى المؤرخ جيزوه أن الحضارة تعني إظهار ما بين الأحداث من علاقات وأسباب الأحداث واثارها"، ويرى جيزوه أن اثار هذه الحضارة قد تكون اثار خير، أو شر فكل ما يقدم من اعمال هي بمثابة حضارة وأكد جيزوه أن التراث الانساني المتمثل في الإصلاح الديني البروتستنتي خطوه نحو تحرير العقل وأن الثورات السياسية الإنجليزية والأمريكية والفرنسية تغلبت على السلطة الزمنية المطلقة.

ويرى رانكة أن الحضارة هي تسجيل يحمل في ثناياه تاريخ الماضي، والحاضر كما هو وكما حدث فعلا. فالدراسات التاريخية للشعوب يجب أن يشملها دراسة التفاصيل عن طريق الرؤية الشاملة لكل شيء، وعن طريق أمثلة تعرض تتطلع فيها البصيرة للمستقبل القريب، وذلك حتى ينظر كل انسان إلى تاريخ مجتمعه بنظرة مجردة ويحل تطور الاحداث بحيادية.

ورأى أكتون أن التاريخ والحضارة يجب أن تفهم من منظور خلقي إذ أنه أصر على ضرورة بأنه يجب النظر إلى تاريخ الشعوب، والحضارات من جانب الدلالات الضمنية الأخلاقية. وبدأ بتطبيق القانون الخلقي "بنزاهة لا تلين" وتوصل إلى نتيجة مفادها أن سر سلطان الشعوب والحضارات لا يكون إلا بوجود قيم خلقية داخل المجتمعات (1).

من خلال ما تقدم نرى أن الحضارات حينما تقوم تستلزم أن يكون هناك أربعة عناصر:

الانسان + الارض + الاخلاق + الهوية

الانسان هو المكون الاساسي لأي حضارة قامت أو ستقوم.

الارض هي المكان الذي يعيش عليه الانسان.

الاخلاق هي القيم والعادات والمكتسبات التي تجب أن يتبعها الانسان، والتي قد تكون في شكل إطار ديني أو قانوني.

الهوية (2) التي ينتمي إليها الانسان ويدافع عنها سواء كانت عرقية، أو جنسية، أو دينية، أو أخلاقية.

(1) جري ، آ.ج.و، التاريخ وكيف يفسرونه، من كوفوشويس إلى توينبي ، ترجمة : عبد العزيز توفيق جاويد، ج2، القاهرة، ص 146- 151، 1996.

(2) ربط الأستاذ حسن حنفي الهوية باللغة حيث رأى أن انهما مرتبطان بتفاعل الانسان وسلوكه الفردي والاجتماعي داخل الاوطان ويؤثر كل منهما في الاخر قوة وضعفا وإذا قويت الهوية قويت اللغة ويؤثر كل منهما في الاخر فاللغة تعبير عن الهوية طبقا للقول المشهور "تحدث حتى أراك" وقد تحدث الله في الوحي حتى تُعرف هويته وتعني كلمة لوجوس في المسيحية كما في إنجيل يوحنا الكلمة والهوية والوجود في آن واحد والهوية في اللغة من الضمير هو يتحول الى اسم ومعناه أن يكون الشخص هو، وهو اسم اشارة يُحيل إلى الآخر لا إلى الأنا وهو ما يعادل الحرفين اللاتينيين ID ومنها اشتق لفظ Identity أما لفظ الإنية فيعادل الحرف اللاتيني Ipse.. وبالتالي تمنع كل أنانية وخصوصية لان الهوية تثبت الأخر قبل أن تثبت الأنا ولا يشتق لفظ الهوية من ضمير المتكلم المفرد "الأنا" إلا بمعنى

والسؤال هنا: ماذا كنا؟ وماذا نكون في ظل العولمة؟ وماذا نريد ان نكون؟

وللإجابة على السؤال ماذا كنا، علينا أن نفهم طبيعة مكون الإنسان العربي من خلال المنظور التاريخي. فمنطقة الشرق الأوسط من البلاد الثرية حضارياً، ولها تراث حضاري فريد من نوعه لكن غالبية ذلك التراث الحضاري طغى عليه الطابع الديني، وسخرت جميع القوى البشرية، وعلومها لخدمة الدين أولاً ثم المجتمع ثانياً. ففي مصر القديمة على سبيل المثال قدس المصريون الفرعون كرمز للدولة، وفي العراق كان يتوج الملك في معبد الزاقورات كدلالة على قدسية ربط الملك بالمعبودات⁽³⁾، وفي الحضارة الفينيقية أنتشر المعبودات أمثال بعل، وإيل، وعشتار⁽⁴⁾، وغيرها من المعبودات التي كانت تمثل مكانه فريده في النفس. ولعل الناظر لجميع تلك الحضارات القديمة وما تلاها من حضارات يجد أن الدين هو المتحكم في التاريخ الانساني للحضارات العربية، ولعل السبب الرئيسي في ذلك هي الطبيعة الجغرافية للمنطقة العربية التي تتمتع بالعديد من المقومات منها المياه، والشمس المعتدلة، والاراضي الخصبة، والتي أثبتت وجود قوة عليا خفيه تتحكم في بناء ذلك الكون، وتسيره، وهي قوة الله العلي القدير. فهذه العوامل دعت عقول أصحاب الحضارات القديمة بمنطقة الشرق الأوسط البحث دائماً عن معبود يمكن الالتجاء اليه في السراء بالشكر والضراء بالدعاء، هذه الخلفية الأيدلوجية في تكوين المجتمع العربي أوجدت العديد من حلقات الصراع الديني على مر العصور. فنجد في العصور المصرية القديمة حدوث أكبر صراع ديني بين كهنتي الآلة أمون، وأتون في عصر الملك أخناتون ذلك الصراع الذي أضاع املاك الدولة المصرية الحديثة في بلاد سوريا وفلسطين⁽⁵⁾. ولعل هذه الخلفية الدينية في حقيقة الامر ضرورية أن نذكرها حيث إن المجتمعات العربية زخرت بالعديد من التراث الديني الثري في مكوناته، واجزائه، فحتى بعد انتشار الديانات السماوية الثلاثة، والتي نتوقف عند المسيحية كمحطة أولى نجد أن الانسان العربي ظل يكافح من أجل الدين فكل تراثه الثقافي الديني ظل يستمد مخرجاته من بيئته التي يعيش فيها. فبعد انتشار المسيحية في الدولة البيزنطية ذاقت شعوب الشرق الأوسط مرارة، ومذلة الصراع المذهبي الكنسي بين كنائس روما،

الأناثية في مقابل الغيرية، إما لفظ الإثنية فمشتق من إن حرف توكيد ونصب ومعناه أن يتأكد وجود الشيء. وماهيته من خلال التعريف للمزيد عن معنى الهوية واللغة أنظر :

حنفي، ح ، الهوية والاعتراب في الوعي العربي، في: الهوية واللغة في الوطن العربي، إشكاليات تاريخية وثقافية وسياسية، بيروت، ص 185، 186، 2013.

(3) رشيد، ع.ح.، حضارة وادي الرافدين؛ ميزوبوتاميا، العقيدة الدينية.. الحياة الاجتماعية.. الأفكار الفلسفية، دمشق، ط 1، ص 20-25، 62، 63، 2004.

(4) الماجدي، خ.، الآلهة الكنعانية، الأردن، ط 1، ص 15-18، 1996.

(5) مختار، م.ج، لمحة في تاريخ مصر السياسي والحضاري، في: تاريخ الحضارة المصرية القديمة ، المجلد الاول (التاريخ الفرعوني)، القاهرة، ص 104 ،

حاشية 1، ب... ت.

والإسكندرية، والقسطنطينية، وأورشليم ابتداء من عام 325م، وحتى قدوم الفتح العربي⁽⁶⁾. وسؤالي هنا في هذه المرحلة وبعد انتشار المسيحية في شتى بقاع الأرض تحت مظلة الامبراطور البيزنطي! هل كان بالفعل صراع ديني أم صراع هوية؟

إن المنتبغ لمسيرة الاحداث الدينية في مجتمع الشرق الاوسط المسيحي يجد أن غالبية المجتمعات أتبعته في المسيحية المذهب الذي رأته يتناسب مع بيئتها، وما ورثته من فلسفات من الديانات الأخرى، فنجد المصريين اتبعوا المذهب الأرثوذكسي الذي أرسى قواعده أثناسيوس عام 325م ضد منافسه أريوس، بينما نجد أهل بلاد الشام والعراق أتبعوا المذهب السرياني، والقسطنطينية أتبعوا المذهب الكاثوليكي⁽⁷⁾. ولعل تبادل الزعامات، والخلافات بين الأباطرة البيزنطيين، وأهل الشرق الأوسط كانت في الأساس هي الرغبة في إثبات الهوية والزعامات على الشعوب فإن عدنا للخلف في زمن الامبراطورية الرومانية نرى أن الأباطرة الرومان اعتادوا جباية العديد من الضرائب على شيء تقريبا مثل المعادن والاشخاش الجيدة والورق والزجاج والعقاقير والمنتجات الزراعية كالزهور، والبلح، وحتى المواشي، والبط، والاوز. بل لم يتركوا حتى الانسان في الشرق الأوسط؛ ففرضوا عليه ضريبة الرأس التي كانت تسمى (laographia)⁽⁸⁾، ومع كل تلك الضرائب والمهانة التي كان يعانها شعوب المنطقة نجد أن الشعوب بمنطقة الشرق الاوسط دأبت الاستسلام لإلا قليل من الثورات التي حدثت ضد اباطرة الرومان حيث رأت شعوب تلك المنطقة الخنوع لذلك المحتل، فلم يكن لهن مبررا يجذوه، أو ملجأ يأووا إليه حتى ظهور المسيحية التي فجرت الطاقات الكامنة بالهوية الدينية، وأطلقت أيدي هؤلاء الشعوب في السعي لإثبات مكانة لهم في التاريخ من خلال تقجير المذاهب الدينية المسيحية المعبرة عن طبيعة بلادهم، وظل ذلك الصراع حتى مجيء الفتح العربي لتلك المناطق.

إن الفتح العربي لشعوب منطقة الشرق الاوسط كان بمثابة الملاذ النهائي لإثبات الهوية الدينية لتلك الشعوب، فعلى الرغم من أن العرب الذين انطلقوا بدين يخالف المسيحية لكنهم لم يكرهوا أحد على الدخول في الإسلام، فقد عاملوا الرقيق أو، الموالي كأنهم من أهل البيت⁽⁹⁾، ولنا في ذلك مثال حيث قال المستشرق دوزي "لقد كان الاسلام أميل من النصرانية لتحرير العبيد الذين يئسوا من تحريرهم على أيدي القسس أيام الحكم القوطي، فقد أمرهم الرسول (ص) بعنق الرقيق، وذكر أن تحرير رقبة عبد عمل يثاب

⁽⁶⁾ كامل، م.، من ديوقليديانوس الى دخول العرب، في: تاريخ الحضارة المصرية، المجلد الثاني (العصر اليوناني والروماني والعصر الاسلامي)، القاهرة ص 210-212، ب.ت.

⁽⁷⁾ كامل، م.، نفسه، ص 214-219.

⁽⁸⁾ نصحي، أ.، مصر في عصر الرومان، في: تاريخ الحضارة المصرية، المجلد الثاني (العصر اليوناني والروماني والعصر الاسلامي)، القاهرة ص 162-165، ب.ت.

⁽⁹⁾ على، م.ك.، بين المدينة العربية والاوربية، اشرف على الطبعة د. عبد الرحمن عبدالله الشيخ، ط2، القاهرة، ص 197، 2002.

عليه المرء أعظم الثواب...ولهذا ففي ظل الحكم الاسلامي تحسنت أحوال الرقيق الموجودين في أملاك المسلمين؛ فاصبحوا مزارعين وتمتعوا بنصيب من الاستقلال⁽¹⁰⁾. وقد عقب المستشرق لوبون على ذلك حيث قال "إن انحطاط الحضارة العربية في وقتنا الحاضر يرجع الى التمازج بين شعوب مختلفة في مملكة واحدة" فيرى لوبون أنه من المستحيل أن تستمر حضارة تتمازج فيها تلك العناصر من غير أن يكون هناك أمران الأول: أن تكون سلطة الفاتح قوية إلى الغاية بحيث لا يستطيع أي انسان تابع له مقاومته، والثاني: ألا يختلط الغالب بالمغلوب، ولا يفنى فيه. وهذان الشرطان لم يحققهما العرب؛ ولذا فمن المتعذر أن تكون هناك شعوب مختلفة تعيش بقانون واحد إذا تباينوا في المصالح والاجناس. هذه النظريات الغربية التي عقيبت على أحوال الشعوب العربية في زماننا استوعبها عدد من علماء علم الاجتماع العرب حيث راوا أن الحضارة اليونانية قامت على المحسوسات المعنوية شعر وفلسفة، والرومانية قامت على الماديات بينما كانت الحضارة العربية الاسلامية وسيطا بين الاثنين فأخذت بقدر كبير من المعنويات، ولم تغفل عن الماديات فلم يكثر شقاء الانسان في الأراضي، ولم يفرض الانسان من السعادة⁽¹¹⁾. هذا التمازج بين الروح والمادة أفرز لنا حلقة من الحلقات الصراع بين العلماء والمتقنين في العالم العربي الذين انقسموا الى قسمين، القسم الاول: وهم المحافظين الذين رأوا بضرورة التمسك بالثقافة الاسلامية العربية التي تمثل الروح، والمادة والتي أنتجت لنا حضارة اسلامية رصينة جمعت تحت اطار الدين وقيمه وضوابط، والقسم الاخر: العلمانيين المجددين الذين رأوا بضرورة عداء الحضارة الإسلامية، والتخلص منها بكل مفاهيمها، وأشكالها، وتقليد الادباء والفنانين في العالم الغربي دون الوعي باختلاف المفاهيم الثقافية مما يجعل إنتاجهم الثقافي مليء بمفاهيم علمانية مادية⁽¹²⁾.

وسؤالي هنا! لماذا يحدث تغريب للحضارة الاسلامية رغم أنها كانت سائدة في الوقت الماضي؟ ولماذا يشد كل طرف في رايه ويرفض كل طرف الاخر في المجتمع العربي؟ ولماذا يتأرجح الشباب العربي اليوم في الميل بين التيارين أما تيار ديني محافظ متشدد، أو تيار مدني منحل من كل تبعات الحضارة الإسلامية والإسلام؟

الهوية العربية في مواجهة العولمة الغربية:

للأسف إن المجتمعات العربية انسأقت وراء حرب ضروس بدأت بعد حدوث استقلال الشعوب العربية من الاحتلال فقد كتب الاستاذ زريق بدمشق عن نشأت القومية العربية في القرن الثامن عشر، وما اعترها من ارتفاع وانخفاض في القرن العشرين، ثم تعرضت للمشكلات القومية، والعالمية لكل الدول

(10) دوزي، ه.، المسلمون في الأندلس ج 1: (المسيحيون والمولدون)، ترجمة: د. حسن حبشي، القاهرة، ص 49، 1998.

(11) علي، المدينة العربية، ص 193، 212.

(12) الجوهري، م.أ.أ، العولمة والثقافة الاسلامية، القاهرة، ص 117-166، 2002.

العربية من الحصول على الاستقلال، ثم المحافظة عليه إلى استغلال الموارد الطبيعية، وتعزيز الذاتية القومية. فيرى الاستاذ رزيق أن البلاد العربية قد وصلت الان إلى أزمة في تطور تاريخها الروحي (13)، والغريب أن نوع تلك الحروب لم تكن بالأسلحة، أو المعدات الثقيلة، بل كانت حرب فكرية صرفه انصرفت فيها العديد من الأموال للسيطرة على الشعوب العربية بأيديهم وصرفهم عن هويتهم العربية والدينية تحت مسمى العولمة أو الانفتاح على الحضارات الغربية والمدنية الحديثة (14).

هذه الحرب الفكرية أو العولمة بدأت في واقع الامر بشكل مدبر، ومرتب حتى قبل أن تحصل الشعوب العربية على استقلالها. فبعد الحرب العالمية الثانية، وبداية الحرب الباردة بين المعسكرين الشرقي والغربي بدأت الولايات المتحدة تعد العدة للسيطرة على شعوب الشرق الاوسط بمعونة شعوب الشرق الاوسط عن طريق تطبيق سياسة عمود الارتكاز الذي وضعها وزير الخارجية الأمريكي جون مارشال الذي رأى بضرورة زعزعة استقرار منطقة الشرق الأوسط من خلال زراعة الفوضى، والقلق فيه وزرع دول تحدث تلك الفوضى بشكل دائم، وذلك بهدف تبرير الوجود العسكري الأمريكي بالمنطقة بشكل دائم مثل اسرائيل وإيران وغيرها من الدول (15). هذا الشكل من السياسة ظل يمثل ركنا اساسيا من السياسة الخارجية الامريكية. والملفت للنظر أن الدول العربية رغم فهم الخطوط العريضة للسياسة الأمريكية لم يكن لديهم الحس القومي العربي لتكوين تحالفات دولية اقتصادية، أو سياسية تصمد أمام المد الأمريكي، بل على العكس زاد تلك السياسة من تمزيق الخلافات العربية بين الحكومات العربية على الحدود أو المياه أو البترول وجاهدت كل دولة عربية على استمالة التيار الأمريكي داخل أراضيها من مثقفين وعلماء وغيرهم من أدوات إنتاج عقلي، أو مادي؛ وذلك لعمل تطبيع على المستوى الحكومي، أو الشعبي، ونقل الثقافة الامريكية من خلال دوائر الاذاعة والتلفزيون (16). ولعل هذا ما افرز لنا طبقة من المثقفين العلمانيين الذين يرفضون الإسلام والحضارة الإسلامية بكل أشكالها، وصورها في مواجهة تيار آخر محافظ متشدد للدين

(13) كويلرينج، ت.، الشرق الأدنى (مجتمعة وثقافته)، ترجمة: د. عبدالرحمن محمد ايوب، مراجعة د. أبو العلا عفيفي و آخر ، القاهرة، ص 24، 2002.

(14) العولمة: تعني إكساب الشيء طابع العالمية، وجعل نطاقه وتطبيقه عالمياً وقد استقرت دلالة مصطلح العولمة على أنها ظاهرة تتداخل فيها أمور الاقتصاد والسياسة والثقافة والاجتماع والسلوك، ويكون أمور الانتماء فيها للعالم كله عبر الحدود السياسية الدولية، وتحدث فيها تحولات على مختلف الصعد، تؤثر على حياة الانسان في كوكب الأرض أينما كان، ودون اعتداد يذكر بالحدود السياسية للدول أو انتماء الى وطن محدد.. للمزيد عن معنى العولمة وأثرها على المجتمع الاسلامي والعربي أنظر:

محمد، أ.ع.، العولمة الثقافية وموقف الإسلام منها، القاهرة، ط2، ص7-10، 2007.

(15) البطريرق، ع.، التيارات السياسية المعاصرة (1815 - 1960)، بيروت، ص 456، 457، 1974.

(16) علي، م.م.، حروب الجيل الرابع ونظرية تدمير النسق الاجتماعي، منشور بمكتبة النور الالكترونية ، ص 95-98.

محافظ على الدين، هذان التياران استخدمتها السياسة الامريكية داخل المجتمعات العربية لإحداث الصراع السياسي الأيديولوجي المتقف بين الطبقتين (17).

ذلك الصراع استخدمت فيه الولايات المتحدة الامريكية كافة وسائل الاتصال والمعلومات؛ بغية محو الهوية الاسلامية في عقول الناشئة من الشباب الجامعي وبناء هوية جديدة. فقد بدأت ترصد الكثير من الاموال والمنح للدارسين والكتاب الغربيين لإنتاج مؤلفات تمحو وتشكك في الثقافة العربية وتزرع ثقافة جديدة مبنية على هوية عربية غريبة جديده، ومن بين هؤلاء الكُتاب ولز صاحب مجلدات معالم تاريخ الانسانية الذي استبدل في مؤلفه بلاد اليهود مكان بلاد الكنعانيين (18)، وكذلك ارولوند تونبي الذي رأى من خلال نظرية قيام وانهايار الحضارات أن الجزيرة العربية كانت على وشك الانفجار من الشحنة الروحية وأن سيدنا محمد استغل تلك الشحنة الروحية لينادي بالتوحيد كمرحلة أولى، ثم إقامة نظام سياسي له نظم، وقوانين كمرحلة ثانية (19)، وتناسى عن عمد أنه رسول من عند الله. هذه النظرية تتبعها نظرية أخرى تتعمد الضرب في الهوية والحضارة الاسلامية والتي كان من أهمها نظرية جوتيه عن الحضارة العربية وهي "أن محصول المدنية اليونانية كثير لان العلم العربي كانت له اصول قديمة، إما في الفنون والآداب أما الدائرة اليونانية أوسع من دائرة العرب بكثير". هذه النزعة في محو فضل الحضارة العربية صاحبها نزعة غريبة تتادي بأن الحضارة كانت منبعا ابناء البلاد الباردة، وأن العرب جاءوا ونقلوا هذه الحضارة وليس لهم فضل على الحضارة البشرية (20).

تلك النظريات المشككة للحضارة الاسلامية والهوية العربية رغم انها كانت رائجة في الفترات السابقة، والتالية لاستقلال الشعوب العربية إلا انها لم تلق رواج وسط الشعوب العربية التي انتشر بها الجهل آنذاك، واقتصر التعليم فيها على طبقة المتقفين، وانشغال العديد من الطبقات الكادحة بالدول العربية بالبحث عن مصدر الرزق والكفاية في الحياة إذاً! فماذا فعلت السياسة الامريكية للنيل من الشعوب العربية؟

العولمة وحروب الجيل الرابع بالمنطقة العربية:

وهنا نجيب على السؤال الثاني ماذا نكون في ظل العولمة؟ بدأت السياسة الامريكية تبحث عن وسائل أخرى أسرع انتشاراً، وروجاً في المنطقة العربية لتضرب بها المجتمعات العربية، حيث بدأت تستخدم الأعلام المنتشر آنذاك من الإذاعة، والتلفزيون ودور السينما وسيلة لتنفيذ تلك الغاية من خلال التركيز

(17) غليون، ب.، اغتيال العقل، منحة الثقافة العربية بين السلفية والتبعية، بيروت، ط2، ص 329، 1987.

(18) ولز، ه. ج.، معالم تاريخ الانسانية، المجلد الثاني، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد، القاهرة، ص 281-291، 1994.

(19) علم الدين، ن. ج.، فلسفة التاريخ عند أرنولد تونبي، القاهرة، ص 127، 128، 1991.

(20) علي، المدينة العربية، ص 193-215.

على عرض نماذج البطولة الأمريكية في الأفلام التي كانت تعرض في دور السينما في ستينات، وسبعينات القرن الماضي، والتي طالما قدمت نموذجاً ثرياً في المحتوى الفني، والادائي، كما لم تغفل الحكومات في تلك الفترة أن تقدم إلى جانب ذلك الإعلام الاجتماعي الذي يركز على السلبيات داخل المجتمع العربي من عرض قضايا القتل، والسرقة، والاعتصام، ومعانات النساء في ظل النظم العربية المستبدة الفاشلة بالدول الإسلامية التي تدعى التمدن وتبطن الاضطهاد لهن حيث انتشرت في صحيفة الاهرام، ورزاليوسف، والجمهورية، وغيرها من المطبوعات، والجرائد الحكومية تقديم ذلك النوع من الجرائم في صفحات الحوادث والمجتمع، ومع التقدم أكثر بدأت تنتشر العصبية حول كرة القدم، وتناست الشعوب العربية بالتدريج الهوية العربية تحت وطأت الإعلام المزيف الذي اغفل عن عمد القضية الأساسية وهي وحدة الشعوب العربية تحت نظام واحد مشترك اقتصادي إن كان، أو سياسي، أو حتى قضية فلسطين المحتلة، بل برزت بعض الاتجاهات تنادي بتجزأت بعض الشعوب والدول العربية تحت أسم الطائفية أو الحزبية أو الارهاب⁽²¹⁾.

هذه الحرب سطرت ملامحها لأول مرة بيد أحد ضباط جيش الماينز أو البحرية الأمريكية وليام ليند William S. Lind عام 1985م في منزله بالإسكندرية بولاية فيرجينيا، من خلال سلسلة المحاضرات التي كان يعد لها مع مجموعة من القادة البحرية الأمريكية، والتي استلهمها من خلال الأحداث الجارية بعد صلح ويستفاليا عام 1648م الذي أنهى حرب الثلاثين عاماً. حيث رأى أن المجتمع الأوروبي بعد تلك الحرب خاضوا العديد من الحروب ضد العشائر، والقبائل، والجماعات العرقية، والأديان، والثقافات، وكذلك فعلت الشركات التجارية، ولم يقتصر الأمر على شن الحروب بين الكيانات وبعضها البعض، بل تطورت المعارك لتشمل الحرب الزواج الأسري، ومبادئه، وأفكاره الدينية. وكانت نهاية تلك الحرب أن أوروبا تخلصت من الدين المسيحي ومبادئه التي انتشرت في العصور الوسطى. وقد رأى وليام ليند وقادة البحرية الأمريكية أن الحرب التالية، والتي يجب أن تقودها الولايات المتحدة يجب أن تعتمد على نفس مبادئ الحرب القائمة بعد صلح ويستفاليا؛ وذلك لما للمنطقة العربية من تراث ثقافي وديني يساعد على دعم ذلك النوع من حروب الجماعات، والايديولوجيات، والقبائل، والعرقيات. ودعم مقالته بالتأكيد على ان الولايات يجب أن تدعم فكرة الشرعية والبحث عنها بكل حرية سواء كانت تلك الشرعية تتمثل في الحاكم،

(21) ذكر الجنرال بيتر تشارلي في خطبته أمام وزارة الدفاع الأمريكية في مطلع القرن الحادي والعشرين أن على الولايات المتحدة أن تعتمد على أسلوب جديد للحرب كبديل عن الحروب على الأرض حتى لا تكلف الولايات المتحدة الكثير من الاموال والسلاح وذكر أن الحرب القادمة هي حرب المعلومات فالنصر في الوقت الحاضر يجب أن يكون شمولياً إذ لا بد أن تتضمن محاور الحرب مساحة الفضاء العالمي الذي تروج من خلاله الولايات المتحدة عن افكارها كما يجب أن تشمل تلك الحروب المواطنين الديمقراطيين المقتنعين في القرن الحادي العشرون بضرورة التغيير في بلدانهم، ويكون الاعتماد في ذلك التغيير من خلال التكنولوجيا والتوجه الى التركيبة السكانية المتنوعة سياسياً وأيدلوجياً واستغلال الفضاء الواسع للترويج للأفكار المؤثرة على الشعوب إذ أن الافكار المؤثرة على الحرية والخروج على الاعراف هي التي استهوت الكثير من الشعوب لتقليد الشعب الفرنسي في ثورته لإحداث التغيير في المجتمع للمزيد أنظر :

أو القانون، أو الدين، أو حتى حدود سياسية بين دولتين، ومناصرة الجزء المضطهد الذي يرغب في إثبات تلك الشرعية داخل شعوب الشرق الاوسط⁽²²⁾. ويرى المحلل السياسي الأستاذ مساعد الدكتور طه قاسم أن حروب الجيل الرابع استخدمت اشكال جديدة، ومتطورة من الوسائل تتمثل في السكان، والثقافة، والبنية التحتية، وصولاً لهدف عام، وهو تدمير المجتمع "داخليا وجسديا" حيث تجد الدولة نفسها تستنزف مواردها في عدة اتجاهات منها ترسيخ الهوية، والثقافة، وتقرير المصير، والقضاء على الإرهاب. ويرى المحلل السياسي جريج سيمونز أن حروب الجيل الرابع تنشأ نتيجة الصراع حول قضايا الهوية، والثقافة، وتقرير المصير، ويزيد من تلك الحروب اشتعالا للتفاوت الذي ينشأ داخل المجتمع نتيجة الاختلاف حول فهم بعض المعاني الروحية، والاستقامة، فهذه الحرب ليست حرب عسكرية، ولكنها قضايا فكرية تتمثل في النزاع حول بعض القضايا التي قد تكون سياسية، أو اجتماعية، أو أخلاقية، أو أزمة شرعية حول تصور الدولة وفق مواطنيها المتنازعين فيتحول ولاء هؤلاء المواطنين من القضايا الوطنية الأساسية للدولة إلى ولاءهم لتلك القضايا ويبدأوا في قتال الدولة من أجل ولاءهم في الدفاع عن تلك القضايا؛ وبذلك يسهل الوصول الى ما يطلق عليه الأعمال الإرهابية التي تنشأ داخل الاقطار العربية والتي تدعمها عرف تلك الحرب⁽²³⁾. وينطبق ذلك النهج مع ما وضعه وليام ليند من تعريف لتلك الحرب بأنها الحرب الغير متماثلة Asymmetric - التي لا تكون بين جيش وآخر، أو صدام مباشر بين دولة وأخرى، تستخدم فيها الدولة كل الوسائل والأدوات المتاحة ضد الدولة العدو لإضعافها، وإنهاكها، وإجبارها على تنفيذ إرادتها دون تحريك جندي واحد، حيث تستخدم فيها الإعلام، والاقتصاد، والرأي العام، وكل الأدوات المادية، والمعنوية، وحتى مواطني الدولة المستهدفة ضدها. ويتفق ذلك المفهوم أيضا مع ما وضعه البروفيسور ماكس مانوارينج Max G. Manwaring - الأستاذ والباحث في الاستراتيجية العسكرية الأمريكية في ندوة ألقاها بمعهد دراسات الأمن القومي الاسرائيلي سنة 2012- بأن الحرب هي الإكراه، سواء غير قاتلة، أو قاتلة كما اعتدنا في الماضي، فحروب الجيل الرابع من الحروب التي يستخدم فيها كل الوسائل المتاحة لخلق دولة ضعيفة منهكة تستجيب للنفوذ الخارجي؛ وبهذه الطريقة الجديدة إن فعلتها ببطء كافي باستخدام مواطني دول العدو "فسيستيقظ عدوك ميتا" وتكون الوسائل المستخدمة في حروب الجيل الرابع:

- الإرهاب، والتطرف: والمنظمات والجماعات والخلايا الإرهابية

وتوجيهها، واستخدام تكتيكات حرب العصابات لتحقيق الأهداف المراد منها.

Lind, W.S., & Thiele, G.A., 4th Generation Warfare Handbook, Minnesota, 2015, pp.9- 22.⁽²²⁾

Kassem, T., Fourth Generation Warfare, A Great Challenge to Stability Egypt as a Case Study, in: ⁽²³⁾ IJHSS, Vol.5/3, 2016, pp.5-10.

- استخدام الحرب النفسية، والذهنية المتطورة: وأدواتها الإعلام، والانترنت، والتلاعب النفسي، وتحريك الرأي العام.

- استخدام الضغوط السياسية، والاقتصادية، والعسكرية.

- تطور تكنولوجيا المعلومات، وتكنولوجيا النانو، والهندسة الجينية، والحواسيب المتطورة، والرادار الترميزي، وتشكيل الجيوش السبرانية؛ لتشكل وسائل لهذه الحرب التي لم يكن من الممكن الحصول عليها سابقاً.

- البحث عن الجزء الأضعف في البلاد وتعظيم دورهم، وتسليط الضوء عليهم بحجة أنهم مضطهدين دينياً، أو مجتمعياً مثل المرأة، أو الأقباط، أو الشيعة، أو السنة، أو المواردية وغيرهم.

كل هذه الوسائل تأتي في سبيل إخضاع الدولة المستهدفة عن طريق جعلها دولة فاشلة، ومنهكة وضعيفة، ومفككة، تستجيب للضغوطات والتدخلات الخارجية وتكون أرض صالحة للنفوذ والسيطرة⁽²⁴⁾... ولتحقيق ذلك قررت الإدارة الأمريكية خلق نموذج جديد في رسم سيناريو الجيل الرابع من الحروب وكان يهدف هذا السيناريو إلى ما يلي:

- تحقيق أمن إسرائيل في ظل السعي الدائم العربي للتسلح.

- طمس القضية الفلسطينية نهائياً في ظل إشغال العرب بشئونهم الداخلية.

- إبعاد إسرائيل عن المواجهة مع إيران في سعيها للسيطرة الإقليمية وخلق مواجهة عبر حرب دينية سنية شيعية.

- طمس الهوية الإسلامية باختلاق عدا، وفزاعة من الإسلام السياسي لدى العموم العربي. فكان لا بد من إحداث سيناريو الفوضى الخلاقة في الدول العربية؛ لذا فقد قامت الولايات المتحدة بدعم الثورات العربية، والتضحية بالعملاء القدامى والدليل على ذلك هو قيام الولايات المتحدة الأمريكية بنفسها بالتنبيه على مبارك إبان ثورة يناير بعدم استخدام العنف مع المتظاهرين، أو التهديد باستخدام القوة.

- دعم المعارضة السورية وقيادة التحالف الدولي في ليبيا، وما يحدث في العراق، ثم دعم التيارات الإسلامية غير المؤهلة لقيادة الدول للوصول للحكم.

- وبالتالي ينتج عن ذلك أحد السيناريوهات الآتية:

(24) زاهر، ض.، المركز العربي للبحوث والدراسات، الحروب غير المتكافئة الجيل الرابع وما بعده (2-2)،

السبت نوفمبر/ 29/2014، المركز العربي للبحوث والدراسات: الحروب غير المتكافئة: الجيل الرابع وما

بعده (acrseg.org) (2-2)، acrseg.org/21425

السيناريو الأول:

استمرار التيارات الدينية في الحكم، وعمل جبهة سنوية تستطيع مواجهة إيران الشيعية؛ وبالتالي إحداث حرب سنوية شيعية تخلص إسرائيل من الخطر الشيعي، والسيطرة الإيرانية الإقليمية؛ وهذا ما يؤكد ما تم طرحه في مؤتمر هرتيسليا (مناعة الأمن القومي في إسرائيل عام 2013) عندما طرح ضرورة إحداث حرب سنوية شيعية لتخلص من إيران.

السيناريو الثاني:

في حالة فشل هذه التيارات في الحكم؛ وبالتالي يلصق الفشل للإسلام السياسي عموماً، وقيام حركات ثورية إسلامية تواجه الجيوش العربية؛ وبالتالي تنجح الخطة الأمريكية الإسرائيلية في تحويل الجيوش النظامية إلى وحدات لمكافحة الإرهاب الداخلي، وتتحول العقيدة العسكرية العربية من أن العدو الأول هو إسرائيل إلى أن العدو هو إرهاب الإسلام السياسي، وقد نجحت في ذلك بواسطة الإعلام العربي الذي روج لذلك.

وأخيراً:

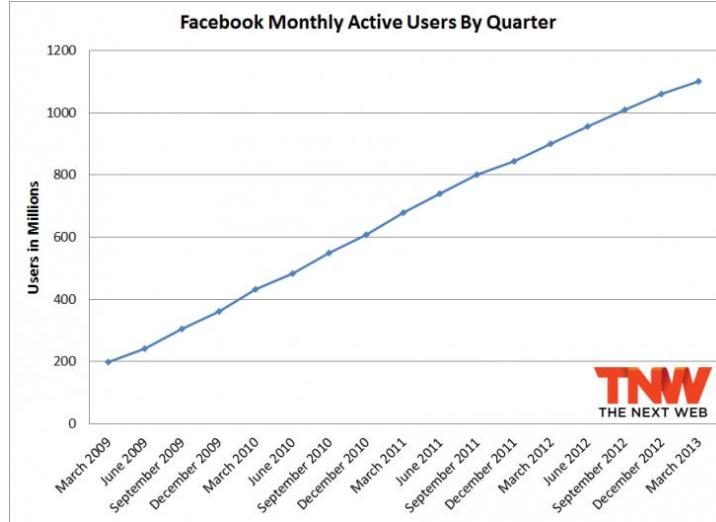
إقامة اتفاق إيراني أمريكي نووي بعدما تغش الدول العربية في تحقيق أمنها الداخلي لتقسيم النفوذ الإيراني الأمريكي في المنطقة، وهذا ما صرح به أحد المسؤولين في المخابرات الأمريكية بأنه في وقت قريب لن يكون هناك وجود لدولتين عربيتين هما سوريا والعراق؛ وبهذا ينجح المخطط الأمريكي في إعادة ترسيم المنطقة عن طريق مشروع الشرق الأوسط الكبير، وتتضم إسرائيل لذلك التحالف؛ وبذلك تختفي الأمة العربية وتفقد هويتها (25).

المؤثرات الاجتماعية لحروب الجيل الرابع على المنطقة العربية:

هذا ما نحن فيه الان! وما كتبته علينا السياسة الأمريكية من الجانب السياسي اما على الجانب الاجتماعي، فنجد أن صفحات التواصل الاجتماعي، وأشهرها الفيس بوك قد حصدت طبقاً لإحصائية 2013 نحو 1,1 مليار مستخدم نشطاً شهرياً (26).

(25) حسين خلف موسى، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والاقتصادية والسياسية، الجيل الرابع من الحروب بين التنظير والتطبيق العملي في دول العالم العربي، 2015/7/29، في الجيل الرابع من الحروب بين التنظير والتطبيق العملي في دول العالم العربي، المركز الديمقراطي العربي (democraticac.de)، <https://democraticac.de/?p=16881>.

(26) 1.11 مليار مستخدم نشط شهرياً على فيس بوك، عالم التقنية (tech-wd.com).



هذه الاعداد بالطبع ازدادت أكثر بكثير بعد أزمة الكورونا، وانتشارها في العالم، حيث نجد أنه حتى التعليم أصبح من خلال تجميع الطلاب والمهتمين بمجال تعليمي معين من خلال صفحة الفيس بوك، وإن أردنا عمل إحصائية حديثة على صفحات الفيس بوك، ووضع بعض الضوابط لتكون معياراً لعمل دراسة اجتماعية؛ فهذا قد يكون ضرباً من الخيال نظراً لأن أعداد المستخدمين في الصفحات المتنوعة كصفحات المشاهير من رجال الاعلام، والفن، والدين، والعامّة، والمرأة، ومقارنة الأديان، والاعخبار، نجد أنها هي الصفحات الغالبة على المحتوى الرائج على صفحات التواصل الاجتماعي الفيس بوك، فحتى إن لم تصل يدك إليها هي قد تصل إليك عن طريق أحد المستخدمين، والذين هم من قائمة أصدقائك هذه الشبكة العنكبوتية من الفيس بوك. والسؤال هنا ماذا انتجت لنا الفيس بوك في واقعنا العربي؟!!

للإجابة على ذلك السؤال سأقوم بعقد مقارن بين ثلاثة من الدول العربية مختلفة بعض الشيء في الظروف الاجتماعية من حيث الرخاء الاقتصادي والاستقرار السياسي وهذه الدول هي: الكويت التي تعاني من استقرار سياسي ونمو اقتصادي وثراء معيشي. ودولة تعاني من الفقر في العيش، ولكن لديها استقرار سياسي، وأمنى، وهي مصر. ودولة تعاني من اضطرابات سياسية، وأمنية، واقتصادية وهي العراق. ونعتمد في ذلك البحث على التقارير الرسمية التي تقدمها المراكز القومية والحكومات الخاصة بالتعداد والاحصاء في كل دولة واختيار سنة 2018 السابقة مباشرةً معيار في المقياس لكون تلك السنة هي السابقة للكورونا، ويكون المعيار التالي هو معدل نسب الزواج، والذي يمثل عصب الحياة العربية، ومنه تنشأ الأمم، والمجتمعات، ونسب الطلاق(27).

(27) الجدول تجميع الباحث من الادارة المركزية للإحصاء بالكويت، ص 18، 32، سنة 2018، والمجلس الأعلى للقضاء بدولة العراق، ص 23، سنة 2017 / 2018، والصفحة الرسمية للجهاز المركزي للتعبئة العامة

الدولة	النزوح 1000×	الطلاق × 1000	نسبة المتزوجين الى المطلقين في نفس العام ×1000 في عام 2018
العراق	31.72	7.45	19.585
مصر	9.1	2,2	6.9
الكويت	1.44	0.79	1.115

ومن خلال عقد المقارنة بين نسب الزواج والطلاق في الثلاث دول؛ نجد أن النسب ترتفع في الدول ذات المستوى الاقتصادي المنخفض الكثيرة الصراعات السياسية مثل العراق، وتلي في النسبة الدول ذات الدخل الاقتصادي المنخفض وذات الاستقرار الأمني وهي مصر، وتأتي في النهاية دولة الكويت التي تتميز بالرخاء الاقتصادي والدخل الاقتصادي المرتفع. هذه النسب التي ضربنا منها مثلاً تثبت بلا شك أن السياسة الأمريكية نجحت في تخريب المجتمعات العربية، وتطبيق المنهج الذي رسمه البروفيسور ماكس مانوارينج. وهناك العديد من الدراسات التي قد لا يتسع لها المجال للإفصاح عنها مثل مواضيع الهجرة غير الشرعية والقتل البطيء وغيرها من الموضوعات. والسؤال هنا! لماذا انتشرت تلك الموضوعات وغيرها؟ وابن القدوات في المجتمع؟ وهل أصبح المجتمع العربي ربيب الصناعة الأمريكية ومشروعها وغريب في أرضه بلا هوية؟

في الحقيقة هذه هي إحدى الحقائق التي يمكن أن نلمسها في مجتمعنا العربي الذي غاب فيه تاريخ البطولة العربية، والدين، والتدين. فقد اختفى تقريباً التحدث عن الشخصيات ليس فقط الشخصيات الإسلامية، بل حتى النساء العربيات المؤثرات في العصر الحديث أمثال جميلة أبو حريد الزعيمة الجزائرية ووداد حجاب البطلة المصرية التي سخرت كل قوتها للعمل في التمريض في المستشفى الميداني في العريش بعد نكسة 1967م وغزى صفحات التواصل الاجتماعي العديد من المروجين للأفكار الهدامة، والناشرين للرديلة في وسائل الإعلام من قتل، وسرقة، ونهب، وطلاق، وترويج حتى لمحتويات طبية، وقانونية، وسياسية، ودينية تهدم المجتمعات العربية. وإن أردنا عقد مقارنة أخرى بين إحدى صفحات العلماء التي يرتادها الباحثين وصفحات التواصل التي يرتادها المشاهير من كرة القدم، أو الفنانين، أو من إحدى الأزواج الذين يقدمون مشاهد ساخرة من أجل جمع التريند كما يقولون للحصول على الأموال؛ لوجدنا أن أقل عدد زوار ومتابعين لصفة العلماء والباحثين. هذه حقيقة لا تحتاج إلى أرقام إحصائية، وخاصة أن الأرقام الإحصائية لا يمكن ذكرها؛ نظراً لعدم الحصول على الأذن من أحد أصحاب هذه

الصفحات، وعلى كل حال فالمتابع والمشاهد للمحتوى على صفحات التواصل الاجتماعي يجد أنه قد لا تخلو من التصنيفات الآتية:

صفحات التواصل الخاصة بالباحثين وتأتي في أدنى المراتب من حيث الأعداد فلا يتجاوزن الآلاف

صفحات الجرائد، ووسائل الإعلام المختلفة التي يصل أعداد متابعيها إلى الأكثر من مليون.

صفحات المشاهير من الإعلام، وكرة القدم التي يصل أعداد متابعيها إلى الأكثر من مليون.

صفحات الأفراد الذين يرغبون في كسب النقود من خلال جمع التريند عن طريق المحتوى المقدم الساخر، أو الجنسي، أو الناقد لأوضاع المجتمع، أو الأفراد، أو النظام السياسي؛ وهؤلاء تتراوح نسب متابعيهم ما بين العشرات إلى المليون أو أكثر بعض الشيء.

وأظن أن هذه التركيبة للمحتوى الأشهر على الفيس، وصفحات التواصل الاجتماعي، وهذا واضح للكثير والعيان، ولا يحتاج إلى إثبات فهذه التركيبة للصفحات، وما أنتجته للمجتمع العربي - من صفحات ضمن تلك التركيبة - أظن أنه أثبت نجاح السياسة الأمريكية في تغريب المجتمع العربي، ومحو جميع القضايا السياسية بين الولايات الأمريكية، وحلفاءها العرب، وبين المجتمع العربي الذي أصبح مجتمع منهار بكل فئاته وخاصة الشباب، والشابات الذين راحوا يبحثون عن الكسب من الفيس حتى ولو على حساب أنفسهم ودينهم؛ فقد بدأ الكثير من الشباب ينادي بالإلحاد وهدم أركان العقيدة الإسلامية، وأصبحت بعض الشخصيات المثالية مثل سارة حجازي، وأقرانها في نفس الاتجاه من رجال الفن ينادون من خلال تلك الصفحات بتطبيق ذلك في الدول العربية، وهنا علينا جميعاً أن نتيقن أين نحن الآن؟! وموقعنا على خريطة المجتمع الدولي؛ ولذا وجب علينا التساؤل لماذا غابت القدرات في وسط ذلك الزخم الإعلامي الهابط! وإن أردنا تغيير مجتمعنا، وشبابنا الحالي، والقادم ماذا علينا ان نفعل؟ وما هي الوسيلة الأمثل لتنفيذ ما نقول؟

في الحقيقة أن المشاكل الناتجة من التقاء التيارات الثقافية الغربية مع العالم الإسلامي قديمة، وكثيراً ما تناول علماء التربية والاجتماع تلك القضية لإيجاد حلول لها، فقد قسم علماء الاجتماع والتربية تلك العلاقات والصراعات عن التقاء التيارات الثقافية الغربية مع العالم الإسلامي إلى ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: تتميز بتأثير العالم الغربي بالحضارة الإسلامية في عصر ازدهارها، وقد أظهر المسلمون منذ العصر العباسي انفتاحاً كبيراً على الحضارات الأخرى، ويعبر ابن رشد عن هذا الانفتاح قائلاً: "عندما تقرأ كتب الأقدمين، وتأمل ما ورد فيها؛ فإن كان موافقاً للحق قبلناه، وسررنا به وشكرناهم عليه، وإن كان ما فيها لا يتفق مع الحق نبهنا عنه، وحذرنا منه وعذرنا عليه". ويعنى ذلك أن نأخذ ما

يتفق وثقافتنا ونترك ما يضيرنا ويؤثر على هويتنا وعاداتنا وتقاليدنا الاصلية. فقد تم الالتقاء بين الشرق الإسلامي، والغرب بصفة أساسية في جزيرة صقلية، وقد تأثر الغرب بحضارة الشرق الإسلامي المزدهر على الصعيدين الديني، والعلمي فقد أسهم فريدريك الثاني حاكم صقلية بنصيب كبير في نشر الثقافة العربية في أوروبا، وقدم ثمار الحضارة الإسلامية إلى الغرب.

المرحلة الثانية: بدأت تاريخياً بالحملة الفرنسية على مصر في نهاية القرن الثامن عشر، وقد تعرف الشرق الإسلامي حينذاك على العالم الغربي، ولكن دون أن يكون لذلك أثر يذكر ثم جاء بعد ذلك الاستعمار.

المرحلة الثالثة: وهي المرحلة المعاصرة، وقد شهد العصر الحاضر انتشار المدنية الغربية والتكنولوجيا في كل مكان بالعالم بما في ذلك العالم الإسلامي، ولكن العالم الإسلامي أنقسم عند الأخذ من منجزات الحضارة الغربية في كل جوانبها، فهناك من يؤيد الأخذ بالحضارة الغربية بكل جوانبها، وهناك من يرفضها بالكلية رفضاً تاماً (28).

وفي الواقع فالتعميم والانغلاق على الذات للحد من الآثار السلبية للحضارة الغربية هذا أمر مستحيل في ظل وجود العولمة العالمية، ولكن علينا ان نضع القواعد، والقوانين الاجتماعية التي تبني ثقافة جديدة للشباب بحيث يستطيع الناشئ من الشباب المراهق التمييز في التفكير بين الأفكار السياسية، والخطط الاستراتيجية للأمريكان وغيرهم. فيجب أن ندرك أن هناك تمييز بين الصراع السياسي الأيديولوجي، وبين الحوار الفكري؛ فلا نجعل من الثقافة أيولوجية، أو نجعل من الثقافة الأيدولوجية السياسية ثقافة، فتلغى كل إمكانيات للحوار العقلي الموضوعي (29). فإذا كانت الثقافة حالة تفاعل متبادل والحضارة هي نتاج التفاعل الموضوعي التي يظهر من خلال إفراس الأوضاع الاجتماعية، والسياسية السائدة بالمجتمع، فعلىنا عند التفكير في رسم سياسات العولمة السلمية أن نبني هذه الثقافة بين الشباب على أساس عدد من التوصيات يمكن أن توجه على المستويين المجتمعي والرسمي.

التوصيات:

أولاً: التوصيات للجهات الرسمية والحكومية:

دراسة تاريخ الشعوب الغربية والتاريخ الأمريكي واليهودي والشعوب الأخرى؛ وذلك لفهم الخلفيات السياسية، والأيديولوجية لتلك الشعوب عند التعامل معها في صفحات التواصل الاجتماعي.

(28) شكري، غ.، النهضة والسقوط في الفكر المصري الحديث، القاهرة، ص 132، 1992.

(29) غليون، اغتيال، ص 329.

وضع قوانين تحجب جميع مواقع الجريمة، والحوادث، والاباحية، وإلزام مروجي تلك المواقع بالالتزام بها من خلال فرض الغرامات عليهم عند مخالفة ذلك.

التركيز على نشر الوعي الثقافي بالمجتمع من خلال تقدير دور العلماء، وأهميتهم داخل الشعوب، وبناء الحضارات.

تسليط الضوء باستمرار على الاختراعات، والابتكارات في العالم الغربي الذي يخدم الصالح العام. محو الآثار السلبية لدى الشباب الواعد، والمخترع، وتشجيعهم على ذلك من خلال عمل مسابقات منتظمة كل عام لهم، بالإضافة إلى فتح آفاق التعاون معهم بإمدادهم بالأموال لاستكمال مشاريعهم. تسليط الضوء على الاعمال الأدبية، والدينية للشباب التي تخدم المجتمع العربي، وتساعد على إحداث تأثير إيجابي فيه.

رسم الخطط المستقبلية من خلال حصر أعداد الشباب داخل المجتمع، واستغلال قدراتهم، وإمكانيتهم في أعمال تتناسب مع اهتماماتهم.

ثانياً: التوصيات على المستوى المجتمعي:

الحاجة الى تأكيد الذات الثقافية، وهذا لا يعني التجرد في إطار التراث القديم؛ وإنما يتحقق من خلال التحرك بحكمة من خلال العلماء في إطار تطبيق نظرية الأصالة، والتجديد. فمن المهم الانفتاح على الحضارات الأخرى، ولكن الأهم الحفاظ على الثقافة الوطنية، والعربية وتأسيس الانتماء الى القضايا العربية.

مواجهة الغزو الثقافي، ومهددات فقدان الهوية الثقافية من خلال تحيكم الدين، والعقل، والعلم في جميع الأمور الاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية، وعدم الانسياق وراء الشائعات الباطلة وترديدها.

المشاركة الشعبية في التنمية الثقافية (30).

اختيار اللغة التي تناسب كافة افراد المجتمع عند تقديم المواعظ والمحاضرات مع ترسيخ الحفاظ على القيم، والهوية الثقافية، والوطنية في مواجهة الموجات الأمريكية التخريبية تحت أسم الحرية (31).

(30) عبد الرحمن، ع.، الاعلام وتحديات العصر في: مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والعلوم والآداب، المجلد 23، الكويت، ص77، 78، 1994.

(31) عبد الحميد، ل.، السياسات الاتصالية والاعلامية وأثرها في الثقافة والتربية، في: مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والعلوم والآداب، المجلد 23، الكويت، ص 61، 62، 1994.

قائمة المراجع

أولاً: المراجع العربية:

- الادارة المركزية للإحصاء بالكويت، سنة 2018.
- البطريق، ع.، التيارات السياسية المعاصرة (1815 - 1960)، بيروت، 1974.
- جري، آ.ج.و.، التاريخ وكيف يفسرونه، من كوفوشوس إلى توينبي، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد، ج2، القاهرة، 1996.
- الجوهرى، م.أ.أ.، العولمة والثقافة الإسلامية، القاهرة، 2002.
- حسين خلف موسى، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية الاقتصادية والسياسية، الجيل الرابع من الحروب بين التنظير والتطبيق العملي في دول العالم العربي، 2015/7/29، في الجيل الرابع من الحروب بين التنظير والتطبيق العملي فى دول العالم العربى ، المركز الديمقراطي العربي <https://democraticac.de/?p=16881>، (democraticac.de)
- حنفي، ح. ، الهوية والاعتراب في الوعي العربي، في: الهوية واللغة في الوطن العربي، إشكاليات تاريخية وثقافية وسياسية، بيروت، 2013.
- دوزي، ه.، المسلمون في الأندلس ج 1: (المسيحيون والمولودون)، ترجمة: د. حسن حبشي، القاهرة، 1998.
- رشيد، ع.ح.، حضارة وادي الرافدين؛ ميزوبوتاميا، العقيدة الدينية.. الحياة الاجتماعية..الأفكار الفلسفية، دمشق، ط 1، 2004.
- زاهر، ض.، المركز العربي للبحوث والدراسات، الحروب غير المتكافئة الجيل الرابع وما بعده (2-2)، السبت نوفمبر/ 29/2014 ، المركز العربي للبحوث والدراسات: الحروب غير المتكافئة: الجيل الرابع وما بعده (acrseg.org) (2-2) ، acrseg.org/21425
- شكرى، غ.، النهضة والسقوط في الفكر المصري الحديث، القاهرة، 1992.
- الصفحة الرسمية للجهاز المركزي للتعينة العامة والإحصاء بدولة جمهورية مصر العربية، الجهاز المركزي للتعينة العامة والإحصاء (capmas.gov.eg) . سنة 2021.
- عالم التقنية (tech-wd.com)
- عبد الحميد، ل.، السياسات الاتصالية والاعلامية وأثرها في الثقافة والتربية، في: مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والعلوم والآداب، المجلد 23، الكويت، 1994.
- عبد الرحمن، ع.، الاعلام وتحديات العصر في: مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والعلوم والآداب، المجلد 23، الكويت، 1994.
- علم الدين، ن.ج.، فلسفة التاريخ عند أرنولد توينبي، القاهرة، 1991.
- على، م.ك.، بين المدينة العربية والاوربية، أشرف على الطبعة د. عبد الرحمن عبدالله الشيخ، ط2، القاهرة، 2002.
- علي، م.م.، حروب الجيل الرابع ونظرية تدمير النسق الاجتماعي، منشور بمكتبة النور الالكترونية.
- غليون، ب.، اغتيال العقل، منحة الثقافة العربية بين السلفية والتبعية، بيروت، ط2، 1987.
- كامل، م.، من ديوقلديانوس الى دخول العرب ، في: تاريخ الحضارة المصرية ، المجلد الثاني (العصر اليوناني والروماني والعصر الاسلامي)، القاهرة، ب.د.
- كويلرينج، ت.، الشرق الأدنى (مجتمعة وثقافته)، ترجمة: د. عبد الرحمن محمد ايوب، مراجعة د. أبو العلا عفيفي وأخر، القاهرة، 2002.
- الماجدي، خ.، الالهة الكنعانية، الأردن، ط 1، 1996.
- المجلس الأعلى للقضاء بدولة العراق، سنة 2017 / 2018.
- محمد، أ.ع.، العولمة الثقافية وموقف الإسلام منها، القاهرة، ط2، 2007.

- مختار، م.ج، لمحة في تاريخ مصر السياسي والحضاري، في: تاريخ الحضارة المصرية القديمة، المجلد الاول (التاريخ الفرعوني)، القاهرة، ب.ت.
- نصحي، أ.، مصر في عصر الرومان، في: تاريخ الحضارة المصرية، المجلد الثاني (العصر اليوناني والروماني والعصر الاسلامي)، القاهرة، ب.ت.
- ولز، ه.ج.، معالم تاريخ الانسانية، المجلد الثاني، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد، القاهرة، 1994.

ثانيا: المراجع الاجنبية:

- Kassem, T., Fourth Generation Warfare, A Great Challenge to Stability Egypt as a Case Study, in: IJHSS, Vol.5/3, 2016.
- Knopf, C. M.& Ziegelmayr, E.J., Fourth Generation Warfare and the US Military's Social Media Strategy Vol.3/4,2012 ASPJ, in: Promoting the Academic Conversation, (PhD),
- Lind, W.S., & Thiele, G.A., 4th Generation Warfare Handbook, Minnesota,2015.